(١) بين عامين

■ **الخطبة الأولى :**

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، خصنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبى أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣].

وأشهد أنّ سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، فعلّم الناس من جهالة، وهداهم من ضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور. فتح الله به آذانا صمًّا، وأعينا عميا، وقلوبًا غلفا، وهداهم به إلى الصراط المستقيم .

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبى الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا فى زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وقفة لحساب النفس :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

نحن الآن نودّع عامًا ونستقبل عاما، نودّع عامًا هجريًّا ونستقبل عامًا هجريًّا آخر.

فماذا علينا فى هذه المناسبة؟

علينا أفرادًا جماعة وأمة : أن نقف موقفًا نتأمل فيه ونعتبر، نأخذ العبرة، ونلتمس العظة من مرور الأيام، وذهاب الشهور والأعوام.

على كل منا أن يقف على رأس العام وقفة الإنسان المحاسب لنفسه، عن سنة مضت كاملة.

إن على المسلم أن يحاسب نفسه باستمرار، حساب النفس جزء من حياة الإنسان المسلم، نفسه نفس لوّامة تلومه إذا فرّط فى أوامر الله، أو إذا ارتكب نواهى الله. إنه يملك حسًا مرهفًا، وضميرًا حيًا عندما تبدر منه المعصية، أو تضيع منه الطاعة، فلا يلقى ذلك بقلب ميّت، ولكنّه يلقى ذلك بضمير حىّ.. بحسّ يقظ، يقول لنفسه: لماذا فعلت؟ ولماذا تركت؟ ولماذا لم أفعل؟ ولماذا لم أدَعْ؟.

هذا هو شأن الإنسان المسلم، محاسب لنفسه أشدّ ما يكون الحساب. المسلم يغلظ الحساب على نفسه، فى حين يتسامح مع غيره، مع الآخرين يلتمس لهم المعاذير، حتى إنّ بعض السلف كان يقول: «إنى لألتمس لأخى من عذر إلى سبعين عذرًا، ثم أقول: لعل له عذرًا آخر لا أعرفه».

هذا موقفه مع إخوته المسلمين وإن أخطأوا فى حقه وإن جاروا عليه، يلتمس لهم الأعذار، ولكنه مع نفسه لا يلتمس لها الأعذار، يحاسبها أدقّ ما يكون الحساب، وأشدّ ما يكون الحساب، كما قال ميمون بن مهران أحد التابعين: «المؤمن أشد حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح»، يدقق ويدقّق ولا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا سأل عنها. هذا هو شأن الإنسان المسلم.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واسألوا أنفسكم قبل أن يصير السؤال إلى غيركم)! فإنك ستسأل يوم القيامة عما عملت وخصوصًا عن أسئلة أربعة: ستسأل عن عمرك فيما أفنيته؟ وعن شبابك فيما أبليته؟ وعن علمك ماذا عملت فيه؟ وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟ فحضّر للسؤال جوابا.

● **وقفة الحساب الختامى للعام:**

المسلم يحاسب نفسه، ينبغى أن يحاسبها فى كل ليلة قبل أن ينام: ماذا

صنعت اليوم؟ وماذا فعلت؟ وماذا تركت؟ فإن لم يتيسّر له هذا فى كل ليلة فليكن فى كل أسبوع .. ليلة الاثنين أو ليلة الخميس أو ليلة الجمعة، يقف ويقول: ماذا صنعت فى أيام سبعة مضت؟ وماذا فيه من حلال وحرام، ورشد وغىّ.

فإن لم يتيسّر له المحاسبة خلال كل يوم أو كل أسبوع فلتكن فى كل شهر، كلما هلّ هلال وقف يحاسب نفسه عن شهر مضى.

فإن لم يفعل ذلك فعلى الأقل يقف على رأس السنة وقفة طويلة مع نفسه، يراجع فيها حساباته، ويفتح سجلاته بصراحة بينه وبين نفسه، حيث لا يطلع عليه إلا الله الذى يعلم سرّه ونجواه ما فعله أمام الناس، وما فعله فى خفية عن الناس، الله تعالى يعمله ويسجله عليه: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠].

ينبغى أن يقف على رأس العام هذه الوقفة المتأنية المستوعبة، الطويلة، أشبه بما يسمّونه فى عالم المال والميزانيات بالحساب الختامى. هو الحساب الختامى لعمل سنة كاملة، السنة اثنا عشر شهراً، والشهر تسعة وعشرون أو ثلاثون يوماً، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية، كلّها ستحاسب عليها: سنوات وأشهرا وأسابيع وأياماً وساعات ودقائق وثوانى، كل نَفَس من أنفاسك ستسأل عنه أمام الله يوم القيامة، فلا بدّ من محاسبة النّفس.

● قيمة الوقت فى حياتنا:

نحن نفرط فى رأس مالنا، ورأس مالنا هو العمر، والعمر هو تلك الأيام التى تنقضى ولا نكاد نحس بها، ولا نهتم لها. أنت تضيع عمرك سنة بعد سنة، وشهراً بعد شهر، وأسبوعاً بعد أسبوع، ويوماً بعد يوم.

نجد كثيراً من الناس يقولون: تعالوا نقتل الوقت! يقتلون الوقت فى اللهو واللعب، فيما يحل وما يحرم، ولا يدرى هؤلاء الحمقى .. هؤلاء المساكين الذين يضيعون أوقاتهم سدى وعبثاً: أن المرء حينما يقتل وقته إنما يقتل فى الحقيقة نفسه!

قتلة الوقت هم قتلة النّفس، إنهم ينتحرون، ولكنه ليس انتحاراً بسكين ولا بضرب الرصاص، إنه انتحار بطئ غير مشاهد ولا منظور، انتحار بإضاعة الوقت . . إضاعة رأس المال، فالوقت – كما قال الشيخ حسن البنا رحمه الله – هو الحياة.

الوقت ليس كما يقول الغربيون من ذهب، الذهب قد يعوض، والذهب قد تستغنى عنه، قد تعيش بلا ذهب. الوقت هو الحياة، أغلى من الذهب، وأغلى من الماس، وأغلى من كل جوهر نفيس.

وقتك هو حياتك، وحياتك هى وقتك كما قال الحسن البصرى: (يا ابن آدم إنما أنت أيام مجتمعة، كلّما ذهب يوم ذهب بعضك) أنت مجموعة أيام، كلّ يوم ينقضى يذهب بعض منك.

حياتك أيها الإنسان هى الوقت الذى تقضيه من المهد إلى اللحد، من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة. فإذا ضيّعت وقتك أو قتلت وقتك، فقد ضيّعت حياتك، وقتلت نفسك.

ومن العجب أن هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم – يقتلون الوقت – لا يعاقبون. من يبدّد المال يعاقب، يعتبر سفيهًا ويحجر عليه، والوقت أغلى من المال، ولكن من يبدّده لا يحجر عليه، من يقتله لا يُعاقب، لأنّه للأسف لا يشعر بجريمته التى يرتكبها فى حقّ نفسه.

ما أجدرنا أن نقف على رأس العام وقفة طويلة يحاسب كل امرئ فيها نفسه: ماذا قدّم فيما مضى؟ وماذا ينوى أن يفعل فيما بقى؟ كما نقوم بالتدقيق للميزانية القديمة والتخطيط للموازنة الجديدة. ماذا أنوى أن أفعل هذا العام من أفعال كبيرة، أرضى فيها ربى، وأحقّق فيها ذاتى، وأعمل فيها لآخرتى؟

هذه هى الوقفة الأولى التى ينبغى أن يقفها كل مسلم على رأس العام حينما يودّع عامًا مضى ويستقبل عاما جديداً.

● **وقفة مع الهجرة النبوية:**

وهناك وقفة أخرى: وقفة يعتبر فيها بهذا الحدث العظيم، الذى اعتبره الصحابة بداية لتاريخ الأمّة. العام الذى نودّعه والعام الذى نستقبله، اسمه: العام الهجرى، نسبة إلى هجرة محمد ﷺ التى هاجر فيها من مكة إلى المدينة.

ما أجدرنا حينما نستقبل العام الهجرى الجديد، ونودّع العام الهجرى القديم: أن نقف لنعتبر بهذا الحدث العظيم .. حدث الهجرة النبويّة.

بحث عن دار للإسلام:

هذه الهجرة كانت بحثًا عن أرض للإسلام، عن دار للإسلام يحقّق فيها ذاته، يقيم فيها شعائره، ينفّذ فيها شرائعه، يؤسس فيها دولته، يرهب فيها أعداءه، يربى فيها أفراده، يبلّغ فيها رسالته.

كان فى حاجة إلى أرض حرّة يقف الإسلام عليها وينطلق منها. مكّة التى هبط فيها الوحى أوّل ما هبط، وهى منشأ الرسول ﷺ، لم تصلح للأسف لأن تكون هذه الدار وأن تكون هذه الأرض، فقد آذت النبى وأصحابه، وصبّت عليهم سياط العذاب ثلاثة عشر عاما، لقوا فيها ما لقوا، وقاسَوْا فيها ما قاسَوْا، وهاجروا إلى الحبشة مرّتين، وحوصروا فى الشِّعب ثلاث سنوات حتى أكلوا أوراق الشجر.

كان لا بد من البحث عن أرض تقوم فيها دولة للإسلام، ويتحقق فيها مجتمع الإسلام، وتقوم فيها النواة لأمة الإسلام، كانت هذه الأرض هى أرض (يثرب)، التى سميت بعد ذلك بالمدينة المنوّرة.

كان الإسلام يبحث عن أرض لإقامة الدولة، إذ لا يمكن أن يكون الإسلام إلاّ دينًا ودولة، إلا أن يحقق نفسه بدولة تقوم على إقامة الفرائض، و الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] تحقق هذا فى المدينة المنورة.

هيأ الله لرسوله هذا النّفر الذين شرح الله صدورهم لهذا الدين من الأوس والخزرج، فاستقبلوا هذا الدين ورحّبوا به، على حين رفضه كثير من القبائل. وعلى حين اشترط بعض القبائل منافع معينة، كأن يكون لهم الأمر بعد رسول الله ﷺ!.

من دخل فى هذا الدين على أساس دنيا أو منافع مادية فلا يقبل منه، لا بد أن يدخل هذا الدين لله، حتى تكون صلاته، ونسكه، ومحياه، ومماته، لله رب العالمين. وعلى هذا دخل الأوس والخزرج، وأكرمهم الله تعالى بالإسلام، وبعث الرسول إليهم مصعب بن عمير – الداعية الأول والمندوب الأول لرسول الله ﷺ – يتلو عليهم القرآن، ويعرفهم الإسلام، ويعلّمهم شعب الإيمان، حتى دخلت المدينة فى دين الله إلا القليل من أهلها، لم يبق دارٌ من دور الأوس والخزرج إلا دخلها الإسلام بفضل الله تعالى أولاً، ثمّ بفضل هذا الداعية الموفق مصعب بن عمير، وكانت بيعة العقبة الأولى فى جوار مكة وبيعة العقبة الثانية.

من دروس الهجرة: التخطيط:

وشاء الله تبارك وتعالى أن يهاجر رسوله ﷺ إلى المدينة. أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وخطّط النبى ﷺ لهذه الهجرة، وهذا درس آخر ينبغى أن نعيه.

ليس معنى أن الله أذن للنبى ﷺ أنه ترك الأمور سبهللاً، أو تركها تجرى على أعنّتها بدون تدبير وتخطيط، لا، الإسلام لا يجعل التوكل طرحًا للأسباب واتكالاً على الله، لا، بل لا بدّ أن تأخذ بالأسباب، وتهيئ للأمر عُدّته، وتأخذ له أُهبته، وتستعد له بكلّ ما تستطيع، وتحسب حساب الاحتمالات المختلفة، وترتّب الأمر حسب ما يمكنك – ما يمكن البشر – من إعداد وتخطيط، ثمّ تدع الباقى لله عز وجل.

وهذا ما فعله النبى ﷺ فى الهجرة، لقد هيأ الأسباب ورتب الأمور:

١ – هيأ الرفيق الذى يرافقه فى رحلة الهجرة إلى يثرب وهو: أبو بكر.

٢ – هيأ الرواحل التى يركبها هو ورفيقه.

٣ – هيأ الدليل الخرِّيت الماهر الذى يعرف الطرقات والملتويات، ويستطيع أن ينجو بهم عند الأخطار، وكان رجلاً مشركًا اسمه: عبد الله بن أُرَيْقِط، ولا مانع من استخدام غير المسلمين فى الأمور الفنية إذا كانوا أمناء على أمور المسلمين، وعلى أسرارهم، وعلى أحوالهم.

٤ – هيأ الغار الذى يختبئ فيه حتى يخفّ عنه الطلب، وتهدأ أنفاس قريش، فكان غار (ثور). وغار ثور فى جنوب مكة، على عكس طريق المدينة، وهذا نوع من التعمية على المشركين.

٥ – وهيأ من يأتى لهما بالزاد الأيام التى يعيشها فى الغار، ومن يأتى له بالأخبار، وكان امرأة حتى لا يشك فيها الناس: أسماء بنت أبى بكر، فتاة تأتى وتصعد هذا الجبل الذى يرهق الرجال صعوده.

٦– وهيأ من يأتى ليعفِّى على آثارها بغنمه، وهو عامر بن فهيرة راعى غنم أبى بكر.

٧ – رتب النبى ﷺ من يبيت فى مكانه إذا خرج من البيت، فكان: علىّ ابن أبى طالب.

٨ – رتّب من يرد الأمانات إلى أهلها وهو: على أيضا.

فقد كان المشركون رغم خلافهم مع النبى ﷺ وعداوتهم له ولدعوته، يعتقدون أنه الأمين الذى لا يخون، والصادق الذى لا يكذب، والوفى الذى لا يغدر! ولذلك ائتمنوه على أعزّ أموالهم ونفائسهم، فأودعوها عنده رغم خلافهم معه!.

ولم يقل النبى ﷺ: هذه أموال مشركين أخرجونا من ديارنا وأموالنا لنأخذها معنا، لا، إنه لا يخون من خانه، ولا يغدر ﷺ، ولذلك أمر عليًا – بعد أن يهاجر – أن يردّ هذه الأمانات إلى أهلها.

من دروس الهجرة: الأمل:

رتب النبى الأمور – كما ينبغى – ترتيب العقل البشرى فيما يستطيعه، وترك بعد ذلك – بعدما هيأ من الأسباب – الأمور والنتائج لرب الأرباب، ومسبب الأسباب.

ولهذا لما اختفى فى الغار وبحث المشركون عنه فى كل مكان حتى وصلوا إلى الغار ووقفوا على فم الغار، وهمس أبو بكر رضى الله عنه فى أذن النبى ﷺ وقال: «يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» أى: لو كلف أحدهم خاطره أن ينحنى قليلاً وينظر فى أسفل لرآنا عيانًا بيانا. وهنا ردّ عليه النبى ﷺ فى ثقة المؤمن، وإيمان الواثق المتوكل على ربّه فقال له: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»(١) ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠].

هذا ما حكاه القرآن الكريم: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿ **وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾: ولذلك ذهب المحققون من العلماء: أنه لم تكن هناك شجرة كما قيل فى بعض الروايات، أو حمام باض على الغار أو عنكبوت. الشجرة والحمام هذا لم تجئ به رواية لا صحيحة ولا ضعيفة، والعنكبوت جاءت بها رواية ضعفها بعض العلماء وحسنها بعض العلماء. وظاهر القرآن يدل على أنه لم تكن هناك جنود مرئية، والعنكبوت جند مرئى، ولكن الله يقول: ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [التوبة: ٤٠] جنود غير مرئية ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [المدثر: ٣١] ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [الفتح: ٧].

ونجا رسول الله ﷺ وصحبه، وذهب مع الدليل إلى المدينة.

---

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١) عن أبى بكر رضى الله عنه.

وفى الطريق أحسّ براكب يتعقبهم .. فارس يركب فرسه، يشق به الصحراء شقا، وكأنه طائر يطير، فقال النبى ﷺ: «لعله سراقة بن مالك»، وسراقة قد سمع بما رصدت قريش من جائزة لمن يأتى بمحمد وأبى بكر حيين أو ميتين. جائزتان كل واحدة منهما: مائة ناقة، ثروة طائلة. وطمع الرجل أن يجد هذين المهاجرَيْن الأعزلين من السلاح، ويستطيع أن يختطفهما ويعود بهما.

لكن النبى ﷺ قال: «اللهم اكفنا سراقة»، فغاصت قوائم فرسه فى الأرض. فقال: أغثنى يا محمد، فقامت، ثم حاول مرّة أخرى فدعا عليه، مرة ومرتين وثلاثا. ثم قال: يا محمد عهد بينى وبينك أن أعمى عليك الأخبار، وأرد عنك الطلب، ولا أمسك بسوء. فقال له النبى ﷺ: «كيف بك يا سراقة إذا ألبسك الله سوارى كسرى»؟! قال كسرى بن هُرمز؟! قال: «نعم كسرى بن هرمز» (١) كما تقول لواحد من الأعراب من البادية: كيف بك إذا دخلت البيت الأبيض وجلست على كرسى كلينتون (٢)؟!

وفعلا فى عهد عمر بن الخطاب جاءت الغنائم من فارس، وكان فيها سوارا كسرى، فنادى عمر بن الخطاب: أين سراقه بن مالك؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: أتذكر يوم قال لك النبى ﷺ كذا وكذا؟ فقال: نعم أذكره ولا أنساه، فقال: تعال ألبسك سوارى كسرى. فألبسه سوارى كسرى وقال: الحمد لله الذى أذلّ بالكفر كسرى بن هرمز وأعزّ بالإسلام سُراقة بن مالك، أعرابيًّا بوالاً على عقبيه! هذا الأعرابى الذى لا يعرف حتى آداب البول يلبس سوارى كسرى.

هذا درس آخر: درس الأمل، النبى عليه الصلاة والسلام وهو خارج مطارد من مكة لم يغب عنه الأمل لحظة أنه منصور .. أن النصر آت لا ريب فيه .. أن أمته ستفتح ممالك كسرى وقيصر، وقد حقق الله له ما وعده.

---

(١) انظر قصة الهجرة فى: الجامع الصحيح للبخارى، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة. وانظر أيضا: إمتاع الأسماع للمقريزى (١/ ٤٢) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، طبعة الشؤون الدينية فى قطر.

(٢) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق.

يا أيها الإخوة: علينا أن نقف لنعتبر بحدث الهجرة نأخذ منه الدروس، دروس السعي لإقامة الدولة والمجتمع المسلم، الدروس للتخطيط الذى يرتب الأمور على حسب ما يقدر البشر، ويدع الباقى لله، وهو درس (التوكل)، الدرس الآخر درس (الأمل)، أننا لا نيأس أبدا، لا نيأس من روح الله وإن ادلهمت الخطوب، واشتدت الكروب، وتفاقمت ظلمات الليل، فإننا نؤمن إيمانا لا ريب فيه أن بعد الليل فجراً، وأن مع العسر يسرا، وأن دوام الحال من المحال: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانيـــة :**

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شئ قدير. وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون. ورضى الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

وقفه مع حال الأمة الإسلامية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا عن وقفة المسلم على رأس العام الجديد، وينبغى أن نتحدث عن وقفة الأمة على رأس العام، ماذا قدّمت أمتنا؟ وماذا صنعت؟ وماذا صُنع بها خلال هذا العام؟

إنه عام حافل، ولكنه للأسف حافل بالمآسى، حافل بالمصائب، حافل

بالهموم. نحن نعيش عصر الهموم والأحزان، ولكن هذا العصر لن يدوم إن شاء الله ، سيتحول الحزن فرحًا، وستتحول المصائب إلى نعم إن شاء الله، والمحن إلى منح.

فى هذا العام استأسدت إسرائيل على العرب والمسلمين، أظهرت قوتها ومدت ذراعها الطويلة، نالت المجاهدين هنا وهناك، قتلت فتحى الشقاقى، قتلت يحيى عياش، اعتقلت من اعتقلت، وسجنت من سجنت، وهددت وتوعدت. وحينما ردّ المجاهدون استطاعت أن تجمع ثلاثين من دول العالم فى شرم الشيخ لتحارب ما تسميه (الإرهاب)!.

من يدافع عن وطنه إرهابى! ومن يغتصب الأوطان التى لم يكن له فيها شبر واحد ليس إرهابيًا! انظروا إلى هذا المنطق، كأن هذا العالم انقلبت موازينه، واختلت مقاييسه، فأصبح يسمى الأشياء بغير أسمائها، بل بعكس أسمائها! أصبح الأحرار الشرفاء الذين يجودون بأرواحهم من أجل الدفاع عن أنفسهم إرهابيين أو انتحاريين! وأصبح القتلة الذين فعلوا ما فعلوا من الجرائم طوال تاريخ طويل هم الشرفاء المسالمين!.

فى هذا العام فقدنا رجالاً والرجال قليل: فقدنا الشيخ الغزالى، فقدنا الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر، فقدنا الشيخ خالد محمد خالد.

فى هذا العام لا تزال الحروب بين المسلمين وأعدائهم مستمرة، فى كشمير، وفى الفلبين، لا تزال الحروب قائمة.

قضية البوسنة نرجو أن تُحلّ، وقد بدت البشائر، وإن كان هناك غيوم تحوم حولها.

قضية الشيشان فقدوا قائدهم (جوهر دودايف)، اغتاله المغتالون.

الإخوة فى أفغانستان لا زالوا يقتتلون، والإخوة فى الصومال لا زالوا يتقاتلون ويتصارعون، لا زالت الأحداث الدامية المؤسفة فى الجزائر وفى مصر، لا زالت فى كثير من البلاد أشياء كثيرة، والذين يتمتعون ويتفرّجون على العالم

العربى والعالم الإسلامى هم الصهاينة وحلفاؤهم من الصليبيين، الذين أصبحوا أطوع لهم من الخاتم فى الإصبع، هذا ما رأيناه للأسف.

مؤامرات اليهود ضد المسلمين:

اليهود يتفرجون على ما يجرى لأمة الإسلام، ويريدون أن يزيدوها تمزقًا وتفرقًا، حتى يعادى بعضهم بعضا، بل يقتل بعضهم بعضا.

لا زلنا من بعد حرب الخليج – وإلى اليوم – فى صفّ ممزق وأمة لا تعرف أخوة الإسلام، ولا وحدة العرب، ولا وحدة التاريخ، ولا وحدة المصير، ولا وحدة الدين واللغة والأرض والمصلحة، لا زلنا نعانى هذا إلى اليوم.

ولذلك يتفرج علينا الإسرائيليون ويشمتون بنا، ويزيدون النار وقودًا، ويهددون ويتوعدون هم وحلفاؤهم كل من خرج على خطّهم ولو قيد أُنملة، إيران لأنها تحاول أن تملك مفاعلاً نوويًّا سلميا تُهدَّد، باكستان لأنها تحاول أن يكون لها مثل ما للهند من امتلاك قنبلة نووية تُهدد، السودان يُهدد وترتبُ له الأمور وتُفرض عليه العقوبات، العراق لا زال مفروضًا عليه الحصار، ليبيا لا زالت تحت الحصار، الأمة كلها تحت الحصار.

ثم رأينا فى الأيام الأخيرة ما نشرته صحيفة (الوطن) القطرية منذ أيام وصحيفة (الخليج) الإماراتية، من تهديد رابطة الدفاع اليهودية، هذه الرابطة التى أسسها ذلك الحاخام الإرهابى المعروف (مائير كاهانا)، هذه الرابطة تقول: سنجزّ رؤوس المسلمين، سنقتل المسلمين فى مساجدهم، سنضرب قياداتهم فى المساجد والمراكز الإسلامية، سننتقم من عائلاتهم، سنفعل ما نفعل. ولا بأس أن أقرأ عليكم بعض ما جاء فى هذا التحذير الذى أرسل إلى كثير من الشخصيات الإسلامية، وإلى كثير من المراكز الإسلامية، وإلى كثير من المساجد الإسلامية، خصوصًا فى بريطانيا وأمريكا، حتى إن رجال الأمن فى البلدين يحققون فى هذا الأمر، ويريدون أن يعرفوا أهذا الأمر جدٌّ أم هَزْل؟.

تحذير من رابطة الدفاع اليهودى:

(إلى الذين شاهدوا قوتنا فى الأيام الأخيرة فى لبنان، تحذير لن يتكرر، إلى كل النشطاء الإسلاميين وعائلاتهم، وقياداتهم الدينية فى مساجدهم ومكاتبهم، ورجال جمع التبرعات فى الغرب: نحن الحكومة هنا، ولكى تتأكدوا انظروا إلى الموجودين فى الحكومة الأمريكية، أو فى مجلس الشيوخ - الكونجرس - والنواب الأمريكى، وانظروا إلى الذين يؤيدوننا فى الحكومة البريطانية،، وانظروا إلى الذين تسمونهم زعاماتكم كيف يهرولون بيأس بالغ ليصنعوا السلام معنا، سلامنا نحن الذى أردناه يصنعونه مع قيادتنا فى إسرائيل.

لقد انتظرنا هذه اللحظة طويلاً، لدينا الآن سلامنا وسيطرتنا على الحكومات من حدود سوريا وحتى نهر النيل، مروراً بجبال لبنان والصحراء العربية، كما وُعد بها الشعب اليهودى: إسرائيل الكبرى.

إننا ننمو يومًا بعد يوم، ونزداد معها قوة يومًا بعد يوم، بينما يزداد المسلمون ضعفا. عما قريب ستشاهدون انتقامنا فى مجتمعاتكم، نحن نعرف أعداءنا ونعرف كيف نتعامل معهم.

اصنعوا السلام الآن، أوقفوا كل نشاطاتكم داخل الجامعات والجوامع، أوقفوا كل المتحدثين باسمكم الآن، توقفوا عن معارضتنا، وإلا فما حدث فى لبنان سيتكرر فى مساجدكم ومع عائلاتكم ومع زعاماتكم، خذوا هذا التحذير بجدية.

نحن نتحكم فى الاقتصاد والسياسة فى هذه الدول، ولا أحد يجرؤ على مهاجمتنا بعد الآن. من كان يجرؤ على انتقادنا فيما حصل فى لبنان؟ حتى الأمم المتحدة والولايات المتحدة وحتى بريطانيا كلّهم معنا، جزء منا، لم يعد هنا المزيد من اليهود الضعفاء الذين يُعدّون للذبح. نحن الآن نذبح أعداءنا كما وعدنا، ذراعنا طويلة، وإذا ما هوجم شعبنا خارج إسرائيل سوف نردّ ضد المسلمين فى

العالم، ففرقنا المدربة جاهزة، وهى مدربة فى كل مكان احذروا أيها المسلمون، حياتكم ملك لنا تماما مثل الخراف للجزار)! انتهى.

هكذا يقولون، اليهود يهددون المسلمين. ونقول لهؤلاء: إن المسلمين لا يهددون، إن المسلم الحق لا يبالى فى سبيل ما يؤمن به: أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، إما أن يعيش سعيداً، وإما أن يموت شهيدا: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾ [التوبة: ٥٢].

إن المسلمين لا يخافون مثل هذه التهديدات الفارغة، إنها فرقعة فى الهواء، وليكن مـا يكون. نحن المسلمين قـادرون على أن نرد على هؤلاء إذا تطاولوا واعتدوا على المسلمين، ومساجد المسلمين، ومقدسات المسلمين، وعائلات المسلمين، وزعامات المسلمين فى الغرب.

المسلمون فى الغرب يريدون أن يعيشوا مسالمين فى مجتمعهم، وأن يكونوا جزءا من المجتمع. قد حضرت مؤتمراً فى فرنسا – حضره ثلاثون ألفًا – كان عنوانه: الاندماج فى المجتمع، وقلت لهم: إننا لا يجوز أن نعيش فى عزلة عن المجتمع من حولنا، نندمج فى المجتمع ونؤثر فيه، ولكن لا نذوب فيه، أى لا نتنازل عن ثوابتنا: عن عقائدنا وشعائرنا وقيمنا الأساسية بأى شئ، ولا بملك المشرق والمغرب، ولكننا نندمج فى المجتمع..

المسلمون فى الغرب يريدون أن يعيشوا فى المجتمع عاملين نافعين منتفعين، ولكن إذا أُريد منهم أن يركعوا أو يخنعوا أو يخضعوا، فلن يفعلوا، لأن دينهم يفرض عليهم أن يكونوا أعزاء ولا يركعوا إلا لله: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨].

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرض عنا وأرضنا.

اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة، ونياتنا على الجهاد فى سبيلك، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، وعلى الصربيين الحاقدين، وعلى الوثنيين المتعصبين، وعلى جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم إنا ندرأ بك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الذى لا يردّ عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين فى سبيلك فى فلسطين ولبنان، وفى البوسنة والشيشان، وفى كشمير والفلبين، وفى كل مكان فى سائر أرضك يا رب العالمين.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(٢) سلام النفس بالإيمان

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

جعلت الأمم المتحدة هذا العام عامًا سمّته: عام ثقافة السلام، على الناس أن يشيعوا ثقافة السلام بدل ثقافة الحرب.

ونحن أول من يرحب بالسلام، إذا كان سلامًا حقًّا .. سلامًا عادلاً، يعطى كل ذى حق حقه، ويرد الظالم عن ظلمه، والمغتصب عن غصبه.

الأمة الإسلامية أمة السلام، والدين الإسلامى دين السلام، ولكنه السلام الحق، ليس السلام المزيَّف، ليس السلام الذى يضحك به على الناس، ليس السلام الذى يعطى اللص ما سرق ويُرضى صاحب الدار بأدنى شيئ.

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

نحن – المسلمين – نرحب بالسلام الحقيقى كل الترحيب، صحيح أنهم يتهموننا – نحن المسلمين – بأننا أمة حرب، وأن الأمة الإسلامية لا تعرف إلا السيف، وأن دينها إنما انتشر بالسيف، وهذا كذب على هذه الأمة، وافتراء على هذا الدين، فالسيف لا يفتح قلبًا ولا عقلا، قد يفتح أرضا، ولكن من الذى يفتح العقول والقلوب لتؤمن؟ إنها الدعوة وليس السيف.

الإسلام إنما شهر السيف فى وجه أعدائه، الذين حاربوه بالسيف وبالعنف من أول يوم. كان رفع الإسلام للسيف دفاعًا عن نفسه – عن حرماته – عن الدعوة التى صدّوا عن سبيلها ووقفوا فى وجهها.

كان هذا ما فعله الإسلام.

ظل المسلمون ثلاثة عشر عامًا فى مكة تُصب عليهم سياط العذاب، يُجرّعون الصاب والعلقم، يؤذون من كل جهة. وكانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ

OBEIKAN.COM

ما بين مضروب ومشجوج ومجروح، ويقولون له: يا رسول الله إئذن لنا أن نحمل السلاح لندافع عن أنفسنا، فيقول لهم: كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة.

حتى أذن الله لهم بعد الهجرة أن يدافعوا عن أنفسهم، ونزل قوله تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

المسلمون هم الذين اضطهدوا، وظلموا، وأوذوا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق، وبغير ذنب اقترفوه، ﴿ **إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾، كانت جريمتهم: إعلان التوحيد .. رفض الأصنام رفض هذه الآلهة الزائفة التى لا تملك لأحد ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورا. كان ذنب المسلمين: أنّهم قالوا: ربنا الله، وديننا الإسلام.

الإسلام دين السلام:

لهذا نقول: إنّ الإسلام هو دين السلام حقّا، وهو لم ينتصر بالسيف، كما زعم الأفاكون، بل انتصر على السيف، الذى شهر فى وجهه، الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [البقرة: ٢٠٨] (السّلم) هنا هو الإسلام، عبّر عن الإسلام بالسّلم لأنه سلام للإنسان، سلام له فى نفسه، سلام له فى بيته، سلام له فى مجتمعه، سلام له فيمن حوله، هذا هو دين الإسلام.

من أسماء الله تعالى فى الإسلام: السلام، الله تعالى هو: ﴿ **الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ** ﴾ [الحشر: ٢٣] ولذلك اشتهر المسلمون بين الأمم أنّ فيهم هذا الاسم: عبد السلام، أى: عبد الله، الله هو السلام. والجنة دار (السلام)، ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وتحيّة المسلمين فى الدنيا والآخرة: السلام، يلقى المؤمن أخاه فيقول له: السلام عليكم، ويردّ عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وفى الآخرة: ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ** ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

والمسلمون إذا حاربوا يستجيبون لدعوة السلام إذا كانت فى موضعها ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١]

الإسلام دين السلام.

السلام النفسى:

ويبدأ السلام أوّل ما يبدأ فى نفس الإنسان المؤمن، إذا أردت أن تقيم سلامًا حقّا فابدأه من الفرد .. من اللبنة الأولى .. من البذرة الأولى، أقم السَّلْم فى نفس الإنسان .. فى ضمير الإنسان .. فى كيان الإنسان الداخلى الباطنى، حتى لا يحدث نزاع بينه وبين نفسه .. صراع بينه وبين فطرته، أطفئ هذه الحرب، أقم سلامًا داخليًا فى نفس كلّ مؤمن، وهذا ما صنعه الإسلام.

الإسلام أقام هذا السلام النفسى بعقائده التى لا نظير لها، وأوّل هذه العقائد: الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى، والإيمان بوحدانيته، أنه ربّ كلّ شئ، وخالق كل شئ، ومدبر كل أمر ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] وأن تؤمن بأن له الكمالات العلى، والأسماء الحسنى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فهو العليم الحكيم، وهو الرحمن الرحيم، وهو البر الكريم، وهو الرازق والمحيى والمميت، وهو الملك القدوس السلام هذه العقائد هى التى تقيم هذا السلام فى ضمير الإنسان المؤمن.

المؤمن يجد هذه الراحة وهذا السلام فى فطرته، فكلّ مولود يولد على الفطرة .. على المعرفة بالله .. على الإيمان بالله .. على وحدانية الله ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] ليست هذه من صنع الإنسان، ولا من تلقين الإنسان، ولا من التعليم المكتسب للإنسان. لو تركْت الإنسان وحده لا بد أن يفكر فى هذا الأمر، سيجد

أن فى فطرته جوعًا لا يشبعه إلا المعرفة بالله، وفيه ظمأ لا يرويه إلا المعرفة بالله، وفيه وحشة لا يؤنسها إلا المعرفة بالله عزّ وجلّ، وفيه فراغ لا يسدّه إلا المعرفة بالله سبحانه وتعالى.

الإيمان وفطرة الإنسان:

الإيمان بالله تعالى فطرة، حتى إن أحد الملاحدة العرب قال كلامًا مرةً فى غاية القوة، والمنافق - كما جاء عن معاذ رضى الله عنه - قد يقول كلمة الحق، قال: لا تصدّقونى إذا شككت فى الإيمان أو شككت فى وجود الله، الحقائق أقوى من الألفاظ والكلمات، أتصدقوننى إذا قلت لكم: إنى لست حيًّا وأنا أمامكم، أتكلم وأسمع وأبصر؟ لا تصدقونى إذا شككت فى الإيمان، الإيمان أقوى منى، أى إن إيمانى يساوى وجودى، أنا مؤمن إذًا أنا موجود، أنا أفكر إذًا أنا مؤمن، أنا إنسان إذا أنا مؤمن!! هذا ما قاله هذا الملحد المعروف، كلمات حق نطق بها.

الإنسان لا يمكن أن يتخلى عن الإيمان، وإذا تخلى عن الإيمان بحث له عن إيمان آخر، وإذا تخلى عن رب الأرباب بحث له عن أرباب أُخر يعبدهم من دون الله عزّ وجلّ، وهذا ما رأيناه.

ولذلك رأينا الملحدين دائمًا مشركين، يشركون مع الله آلهة أخرى.

والإلحاد ضد الفطرة، الفطرة تعنى الإيمان، والإلحاد خروج على الفطرة. ولذلك كان الملاحدة طوال التاريخ قلة لا يقام لها وزن، وكانت دعوات النبيين ضدّ الشرك، كلّ الأنبياء كانت دعوتهم الأولى: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩] فكانت فتنة الأقوام والأمم هى الإشراك بالله تعالى وليست الإنكار لوجود الله عزّ وجلّ، فالذين ينكرون وجود الله هم مماورن بالباطل مشككون فى الحقائق.

ومن هنا نقول: إن الإيمان يشبع هذه الفطرة التى تتطلب معرفة إله فوق هذا الكون يسيره ويدبره، وبهذا يستريح الإنسان المؤمن إذا هدى إلى فطرته، ولم

يتنكر لهذه الفطرة. وهو بهذا يجيب عن الأسئلة القديمة الجديدة التى حيرت الإنسان منذ بدأ يفكر من قديم، وهى الأسئلة الخالدة: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

من أين جئت وجاء هذا الكون من حولى؟ من الذى أوجد هذا العالم الكبير علويه وسفليه من الذرة إلى المجرّة؟

وإلى أين؟ بعد هذه الحياة الحافلة بالخير والشر، والحلو والمرّ، والعدل والظلم والحسنات والسيئات، والسراء والضراء، إلى أين بعد ذلك؟ سنموت، هل الموت هو نهاية المطاف؟ أو بداية لمرحلة أخرى؟ هل خلقنا لهذه الأيام المعدودة، ثم بعد ذلك ما هى إلا أرحام تدفع، وأرضى تبلغ؟ أهذه هى الحياة وقصتها؟ أم إن وراء هذه الحياة حياة باقية أخرى، وخلوداً أبديا يُخلّد الإنسان فيه فى عمله؟ الملحدون ظنوها حياة قصيرة، يخلق الإنسان من التراب، ويأكل من التراب، ويمشى على التراب. ثم يدفن فى التراب، وانتهت القصة ﴿ **مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ** ﴾ [الجاثية: ٢٤].

أما المؤمنون فعرفوا أن الموت ما هو إلا رحلة جديدة إلى حياة جديدة، كما قال الشاعر الصالح:

وما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

وكما قال عمر بن عبد العزيز: إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون بالموت من دار إلى دار.

المؤمن إذنْ لا يعيش هذه الحياة القصيرة، إنه يعيش مع الخلود، إن عمره ممتد. هذا هو شأن الإنسان المؤمن، حياته ليست فى هذا الزمن القصير. وعمله ليس فى هذه الأيام المحدودة، إنه يعتقد أن لهذا العمل ثمرات فى دار أخرى هى دار البقاء ودار الخلود.

المؤمن يعيش فى معية الله:

والمؤمن لا يعيش وحده، إنه يعيش مع ربه، يشعر بهذه المعية .. أن الله معه

حيثما كان، شرق أو غرب، أغور أم أنجد، أيمن أم أشأم، ذهب إلى الشمال أو سار إلى الجنوب، حيثما كان فالله معه ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ [المجادلة: ٧]. يشعر بهذه الصحبة .. بهذه المعية .. معية العلم والإحاطة، كما يشعر المؤمن بمعية خاصة أخرى، يمتاز بها على غيره: معية التأييد والنصرة، فيزداد قوة على قوة، وطمأنينة على طمأنينة، مهما ألمت به الحوادث، ومهما أدلهمت من حوله الخطوب، وتتابعت عليه الكروب، فإن معية الله تؤنسه فى الوحشة وتنير له الظلمة.

انظروا إلى سيدنا موسى عليه السلام حينما جاء فرعون بجنوده، يتبعه هو وبنى إسرائيل، حتى أوشكوا أن يمسكوا بهم، وقال أصحاب موسى حينما رأوا هذا .. البحر أمامهم والعدو من خلفهم: ﴿ **قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ سيدركنا فرعون وجنوده لا محالة. ماذا قال موسى عليه السلام؟ قال: ﴿ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء: ٦١ : ٦٢] لن يدركنا فرعون ولا جنود فرعون ﴿ .... **إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ سيهدينى إلى حلّ. لقد تذكر هذه الوصية الإلهية حينما أرسله الله هو وهارون إلى فرعون وقال: ﴿ **اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ..... إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٦] لم ينس موسى هذه الكلمة فقال: ﴿ ..... **إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ ، وهداه الله، قال: ﴿ ... **اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الشعراء: ٦٣] وكانت نجاة موسى وغرق فرعون.

ووقع مثل هذا لسيّد البشر محمد ﷺ حينما دخل الغار، اضطره قومه إلى الهجرة وأذن الله له فى الهجرة وأراد أن يعمى عليهم فدخل غار ثور هو وصاحبه أبو بكر، وذهب القوم يبحثون عن محمد وصاحبه حتى وصلوا إلى الغار ووقفوا على فم الغار، وأبو بكر مشفق خائف حزين يقول: يا رسول الله، لو نظر أحدهم

تحت قدميه لرآنا. فيقول النبى ﷺ فى ثقة المؤمن وإيمان الواثق: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!»(١) «لا تحزن إنّ الله معنا». أنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها، هذه السكينة سكينة النفس هى ثمرة من ثمرات الإيمان .. من ثمرات الشعور بمعية الله عزّ وجل، «لا تحزن إن الله معنا» وفعلاً كان الله معهما، وأيدهما بجنود لم يرها الناس.

المؤمن يشعر بمعية الله تبارك وتعالى، فلا يحزن إذا حزن الناس، ولا يسخط إذا سخط الناس، ولا ييأس إذا يئس الناس، بل يعتقد أن الله معه، ومن كان الله معه فلن يضيع، لن يضيع إنسان معه رب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ [المدثر: ٣١].

صحبة النبيين والمؤمنين طوال التاريخ:

المؤمن يشعر بمعية الله، ويشعر بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه لا يعيش وحده، إنه يعيش فى قافلة كبيرة ممتدة فى التاريخ. تاريخه ليس تاريخ شخص، ولا تاريخ جماعة، ولا تاريخ أمة، بل هو تاريخ الإيمان منذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تاريخ طويل حافل ممتد الجذور، غائر فى الأعماق.

إنه يعيش مع المؤمنين حيثما كان، ومع النبيين، إنه يعيش مع إبراهيم حينما دخل النار وقال الله لها: ﴿ **يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم** ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. ويعيش مع يعقوب ويوسف، ويعيش مع موسى، ويعيش مع عيسى عليهم السلام، ويعيش مع الأنبياء جميعا، ويعيش مع خاتم الرسل محمد ﷺ وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الغر الميامين، يعيش فى صحبة هؤلاء جميعا فيشعر بالأنس، يشعر بالأنس أنه ليس وحده، وأن هذه القافلة الإيمانية هم إخوة له ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١) والترمذى (٣٠٩٦) عن أبى بكر الصديق.

OBEIKAN.COM

أسلم رجل أمريكى منذ سنوات، وشهد «أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، سألته: ماذا كسبت من هذا الإسلام؟ قال: كسبت الهداية. قلت: نعم، كسبت الهداية، وكسبت كذلك أخوة أكثر من ألف مليون مسلم فى العالم، هؤلاء كلهم إخوة لك، يحبونك، ويتمنون لك الخير، ويدعون لك، أخوة هذه الملايين من تعرفهم ومن لا تعرفهم، أنت تصحبهم صحبة روحية، ليسوا معك ولكنهم يدعون لك: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**﴾ [الحشر: ١٠]، نحن ندعو لمن سبقنا، وندعو فى كل خطبة: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

هذه قوة روحية، مكسب ليس بالقليل ولا بالهين: أن تعيش فى صحبة هذه الملايين ومئات الملايين من البشر.

أنس المؤمن بالوجود كله:

بل المسلم المؤمن يعيش فى صحبة الوجود كله، يأنس بالوجود كله علويه وسفليه. كل هذا الكون يؤنسه، ليس هناك شيئ عدو له، الله سخر له هذا الكون بسمواته وأرضه، وشمسه وقمره، ونجومه وليله ونهاره، وأنهاره و بحاره ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤]، [النحل: ١٨].

الكون مع الإنسان المؤمن، إنه ساجد لله كما تسجد ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ [النحل: ٤٩] إنه مسبح بحمد الله كما تسبح ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...**﴾ [الحشر ٢٤]، [الجمعة: ١]، ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء: ٤٤]. هذا الكون ساجد مسبح بحمد الله، فهو معك، وهو لك إذن وليس عدوا لك.

الغربيون يقولون عن انتصارهم فى علوم الطبيعة: قهرنا الطبيعة! استطعنا بالعلم الحديث أن نقهر الطبيعة، كأنها عدو تحاربه ويحاربها، فهو يقهرها وينتصر

عليها، الإسلام لا يعتبر الطبيعة عدوًا للإنسان ، الطبيعة من خلق الله، هى مسخرة للإنسان، والنبى ﷺ عبّر عن هذه العلاقة الودودة بين الإنسان وما حوله حينما قال عن جبل أحد : « هذا جبلٌ يحبنا ونحبه » (١) ! مع أن المسلمين انكسروا بجوار أحد فى غزوة أحد، ولكن هذا لم يورث النبى ﷺ شيئًا ضدّ هذا الجبل. هذا هو الإنسان المؤمن.

الملائكة جند الله المبثوثون فى هذا الكون فى سمواته وأرضه، هؤلاء مع المؤمنين، الله سبحانه وتعالى سخرهم ليدعوا للمؤمنين ويستغفروا للمؤمنين، هذا الجند الهائل الذى لا يحصيه إلا الله يقول الله تعالى عنهم: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [غافر: ٧-٩].

الملائكة مشغولون بالدعاء للمؤمنين! أى فضل أعظم من هذا الفضل؟

نعمة اليقين والسكينة :

المؤمن يعيش فى هذه المعانى .. فى هذه المشاعر.. فى هذا الجو الملئ بالنفحات.. فى هذا الجو الربانى الذى لا يعرفه أهل الإلحاد ولا أهل الشك ولا أهل الجحود. هذا هو السلام الحقيقى.

نجا المؤمن من عذاب الحيرة وجحيم الشك التى يعاينها هؤلاء الذين لم يرضوا بالله ربا، ولم يرضوا بالإسلام دينا، وبمحمد رسولا.

الإنسان المؤمن سعد بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، حين عرف الغاية، وعرف الطريق.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه، كتاب المغازى، حديث ٤٠٨٣.

الغاية هى: رضوان الله تعالى ومثوبته، والطريق هو: المنهج الذى رسمه محمد ﷺ بما أوحى إليه من ربه ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، الذى يدعو المؤمن به ربه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]

عرف الغاية، وعرف الطريق، فاستراح. استراح من الشك، واستراح من الحيرة. الشاعر المهجرى الذى يقول فى قصيدته التى سماها (الطلاسم):

جئت لا أعلم من أين، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدامى طريقًا فمشيت
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرتُ طريقى؟
لستُ أدرى!
ولماذا لستُ أدرى؟ لستُ أدرى!

لا يدرى من أين جاء، ولا كيف جاء، ولا أين يذهب! ولماذا ليس يدرى؟ ليس يدرى! فهو يعيش فى عذاب الشك.

المؤمن نجا من عذاب الشك حينما وقف على عتبة الإيمان، ووضع يده فى يد الله، فأنار له الطريق، وهداه سواء السبيل، ومضى راضيًا مرضيًا، رضى الله عنه، ورضى عن ربه، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

المؤمن بهذا يعيش فى سلام، هذه هى حقيقة السلام، السلام يبدأ من هنا، يبدأ من ضمير الإنسان .. من داخل الإنسان .. من باطن كيان الإنسان، هذا هو السلام، سلام الإيمان .. الإيمان الحق، الذى لا يقوم على الخرافات ولا الأباطيل ولا يلغى العقل، بل هو قائم على العقل وعلى الوجدان.

الوحى عندنا ليس ضد العقل، لا، بل النّقل عندنا قائم على العقل، لأننا بالعقل عرفنا الله، وبالعقل عرفنا صدق نبوة محمد ﷺ، فلا تناقض عندنا بين عقل ونقل ولهذا نمضى فى طريقنا مستمسكين بالعروة الوثقى لا انفصام لها،

مؤمنين بأننا على الحق المبين، كما قال الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ** ﴾ [النمل: ٧٩]، ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الزخرف: ٤٣].

نحن على الحق المبين، ونحن على الصراط المستقيم، والحمد لله رب العالمين.

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

السلام الأعور:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كنا نظن الأمم المتحدة – التى دعت إلى ثقافة السلام، واعتبرت هذا العام عام السلام وثقافة السلام، كنا نظنها أنها – ستقف مع الحق دائمًا ومع السلام العادل، ولكن لا زالت الأمم المتحدة يسيطر عليها الأقوياء، تسيطر عليها القوة الأولى المتفردة الآن فى العالم: قوة أمريكا، فهى التى تسير الأمم المتحدة، وإذا أرادت شيئا فسرعان ما تجند الأمم المتحدة وأجهزتها ومؤسساتها فى خدمة ما تريد.

كما راينا هم أسرع ما يكونون إلى إرسال القوات الدولية إلى (تيمور الشرقية)، هذا البلد الذى هو جزء من أندونيسيا المسلمة. ولكنهم يسوؤهم أن يكون هناك بلد مسلم بهذا الحجم (أكثر من مائتى مليون)، فيريدون أن يقتطعوا من هذا الجسد عضوا بعد عضو، هذه مؤامرة خبيثة.

وقد اضطرت أندونيسيا أمام ظروفها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية أن تقبل هذا الأمر.

ونرى الأمم المتحدة تسكت عما يجرى الآن للشيشان، من ضرب هذه

OBEIKAN.COM

الجمهورية الإسلامية من فوق ومن تحت، ومن السماء ومن الأرض، وبالطائرات والدبابات، فأين صوت الأمم المتحدة؟!

ثم أين صوت الأمم المتحدة فى قضية فلسطين؟ وقضية فلسطين ستظل هى الجرح الذى ينزف، ولقد تكلمنا وتكلمنا، وسنظل نتكلم ونتكلم.

منذ نحو ستين عاما وأنا أتكلم عن قضية فلسطين، منذ كنت طالبا فى المرحلة الابتدائية، ولا زالت القضية تنتقل من سئ إلى أسوأ. صحيح أنهم وقعوا على اتفاقات، ولكن على سوء هذه الاتفاقات نرى الإسرائيليين لا ينفذونها، إنهم يتلاعبون بالفلسطينيين، وستبدى الأيام كما قال الشاعر العربى القديم:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

سنرى أن (باراك) ليس خيراً من (نتنياهو)، وكما قال الشاعر:

وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع

إنهم من طينة واحدة، وإن أهدافهم واحدة، وإنما تختلف الأساليب، هذا أسلوبه ناعم وهذا أسلوبه خشن، هذا أسلوبه مباشر وهذا أسلوبه غير مباشر، ولكن الجميع يريدونها (إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ومن الأَرْز إلى النخيل) أى من لبنان إلى المدينة وخيبر! هذه أحلامهم، وهذا ما يخططون له، فماذا نفعل نحن؟

إنهم يقفون جبهة واحدة. إسرائيل متفرقة فى داخلها، يهودها جاؤوا من المشرق والمغرب، ومن الشمال ومن الجنوب، هناك اليهود الأوربيون، واليهود الشرقيون ويهود الفلاشا، وغير هؤلاء، ولكنهم مع هذا التفرق والخلاف تماسكوا فيما بينهم. الله تعالى يقول: ﴿**بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ**﴾ [الحشر: ١٤]، قلوبهم شتى ولكن يظهرون للناس أنهم مجتمعون تجمعهم المصلحة المشتركة.

أما نحن فللأسف قلوبنا شتى، وأيدينا شتى، وألسنتنا شتى، ومواقفنا

شتى. يأكل بعضنا بعضا، ولم نستطع أن نقف وقفة رجل واحد فى هذه المعركة الكبيرة.

حتى إن أخوتنا من قيادة (حماس) والمكتب السياسى لحماس، رأينا ما جرى لهم، وقد وسعهم الأردن من سنوات طويلة، وبينهم وبين الملك الراحل الحسين اتفاقات، وقد رأينا موقف الملك حسين من أخينا المجاهد خالد مشعل رئيس المكتب السياسى وما جرى له، هذا موقف يذكر للرجل، ومن واجبنا أن نقول للمحسن: أحسنت.

فماذا حدث حتى يُعتقل قادة حماس؟ ما الذى جرى والقوم هم القوم، والعمل هو العمل، والهدف هو الهدف؟ أيجوز لنا أن يأكل بعضنا بعضا إلى هذا الحد؟.

إن أملنا فى الملك الشاب عبد الله بن الحسين أن ينظر نظرة عاقلة حكيمة إلى هذا الأمر، ويداوى هذا الجرح بما يليق به.

لا يجوز أن نقدم هدية رخيصة إلى إسرائيل باعتقال قادة حماس، وما أمسكوا بقنبلة، ولا أطلقوا رصاصة، ولا حملوا مدفعا. فإذا وجدتم ثلاثة مسدسات، أهذه أسلحة يقال عنها: إننا ضبطنا أسلحة؟! هذا أمر لا يقبل.

أملنا فى الملك عبد الله، وأملنا فى رئيس الوزراء الأديب الشاعر الدكتور الروابدة، وفى العقلاء من أبناء الأردن: أن يداووا هذه القضية بما يليق بها من حكمة وصواب.

إننا كل يوم ننهزم أمام إسرائيل، وآخر الهزائم: موقفنا فى (ديزنى لاند) هذه. نادى الوزير الشاب عبد الله بن زايد آل نهيان بأن يقاطع العرب (ديزنى)، واستجاب العرب فى أول الأمر، وتجاوبت الجامعة العربية وسمعنا من الأمين العام كلامًا طيبًا، ووقف وزراء الخارجية حينما التقوا فى القاهرة موقفًا جيداً، ثم سرعان ما تهاوى هذا كله، حينما ذهبوا إلى الأمم المتحدة وإلى نيويورك، فتغير الموقف، وسلموا لإسرائيل!! وافتتحت إسرائيل منذ يومين جناحها فى هذا، وقال

سفيرها هناك: إن القدس هى العاصمة الدائمة والموحدة لإسرائيل، وهى قلبها النابض! ولم يبالوا بالعرب. تركوا اللافتة، ولكن المضمون الذى يستمر خمسة عشر شهراً ويعرض على العالم، يلغى التاريخ العربى والإسلامى من القدس، ويجعل القدس يهودية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً!!

وما كان اليهود فى القدس إلا سنين معدودة، كان العرب قبلهم من أيام اليبوسيين والكنعانيين، وبعدهم منذ أربعة عشر قرناً أو تزيد إلى اليوم.

اليهود – أو الإسرائيليون – حينما دخلوا فلسطين لم تكن فارغة، وحينما خرجوا منها لم يتركوها فارغة، إنها كانت عامرة بأهلها من أهل فلسطين، وهى لا تزال عامرة بأهلها من أهل فلسطين، ولكن هكذا ينتصر الباطل لأن أهل الحق لم ينصروه.

الحق لا ينتصر وحده، إنما ينتصر بأهله، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] المؤمنون المترابطون المؤتلفون هم الذين ينصرون الحق.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يؤيدنا بروح من لدنه.

اللهم انصرنا نصراً مؤزراً، وافتح لنا فتحا مبينا، واهدنا صراطا مستقيما، وانصرنا نصراً عزيزاً، وأتم علينا نعمتك، وأنزل فى قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم شتت شملهم، وأحبط مكرهم، وادرأ عنا شرهم، وأنزل عليهم بأسك الذى لا يردّ عن القوم المجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو وادّهم أخذ عزيز مقتدر.

وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(٣) أمتنا لن تموت (*)

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

آثرت الصمت حينا:

لا أكتمكم أنى كنت قد أحببت أن ألتزم الصمت إزاء ما يجرى فى منطقتنا العربية والإسلامية من أحداث عصيبة، وتحركات رهيبة، وسياسات عجيبة، تذهل عقل الإنسان، وتدع الحليم حيران.

كنت أحببت أن ألتزم الصمت فى هذه الآونة، وأدع الأمور تجرى فى أعنتها، وربما كان الصمت فى بعض الأحيان أبلغ من الكلام، والعرب قديمًا قالوا: لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

كنت أحببت أن ألتزم الصمت إزاء ما يجرى فى هذه المنطقة من أحوال، وفى الحديث: «من صمت نجا»(١)، وفى الأمثال: (إذا كان الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب).

وقديما قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

كنت آثرت أن ألتزم الصمت، وأن أدع هذا المنبر، لولا أن كثيرا وكثيرين

(*) كان لهذه الخطبة وقعها وأثرها البالغ على من سموها، حتى سماها بعضهم (خطبة العصر)! وقد ألقيت فى ربيع سنة ١٩٩٦م.

(١) رواه أحمد والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وقال الترمذى: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. قال النووى فى الأذكار بعدما عزاه للترمذى: إسناده ضعيف وإنما ذكرته لأبينه لكونه مشهورا. وقال الزين العراقى: سند الترمذى ضعيف، وهو عند الطبرانى بسند جيد. وقال المنذرى: رواة الطبرانى ثقات. وقال ابن حجر: رواته ثقات.

ومعناه كما ذكر العلامة المناوى: من صمت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم المآب. انظر: (فيض القدير للمناوى: ٦ / ١٧١ برقم ٨٨١٩).

OBEIKAN.COM

وكثيرات من إخوانى وأخواتى، وأبنائى وبناتى، وتلاميذى وتلميذاتى، اتصلوا بى وألحوا علىّ أن أتكلم. قالوا: إن النار تتقد فى صدورنا، إننا نغلى من الغيظ والغضب مما يجرى من حولنا، ونريد أن تطفئ هذه النار فى قلوبنا بكلمة حق نسمعها أمام الضجيج من الباطل الذى نسمعه من هنا وهناك فى كل مكان، وإزاء هذا الصمت الرهيب مما يجرى من حولنا. وأنا رجل أضعف أمام الإلحاح، فنقضت ما كان بينى وبين نفسى.

● **لم يمنعنى أحد من المنبر**

وأكد لى هذا الأمر: أن هناك إشاعات لا أساس لها من الصحة شاعت بين الناس، قالت: إنى مُنعت من هذا المنبر، وإنى طُلب منى أن أصمت ولا أتكلم، وهذا ليس بصحيح بالمرة، ما منعنى والله أحد. وأنا أشهد للحق وللتاريخ – ولى خمس وثلاثون سنة فى هذا البلد أخطب وأحاضر وأدرِّس وأحدِّث – ما منعنى أحد قط من كلمة أقولها، ولا وضع لى خطوطًا حمراء، ولا قال لى مسؤول كبير أو صغير: هذا من حقك، وهذا لا يجوز لك. ما حدث هذا من قبل وأنا فى الثلاثينات من عمرى، فهل أُمنع وأنا ابن السبعين؟! ليس هذا بصحيح أيها الإخوة.

لهذا أردت أن أعود إلى هذا المنبر، لم أُرد أن أسد أُذُنًا من طين وأُذُنًا من عجين – كما يقولون – إزاء ما يجرى فى منطقتنا من أحداث رهيبة، أحداث تشيب لها الولدان، وتقشعر من هولها الأبدان، ما يجرى من حولنا فى لبنان، وما يجرى فى فلسطين.

الغارة الوحشية على لبنان وصمت العرب:

الغارة الوحشية على لبنان، الغارة التى قتلت الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين العزل الأبرياء، الصواريخ من الجو، والدبابات أو المدفعية الثقيلة من تحت، كل هذا يدمر ويخرب ويقتل ويذبح.

وإسرائيل تفعل ذلك علانية، جهارًا نهارًا، عيانًا بيانا، تستذلنا، تهيننا، لا تجد فينا عرقًا ينبض، ولا نفسًا يتردد، ولا حتى احتجاجًا قويًا. لا تجد صراخا من

العرب، صراخًا يوقظ النعسان، ويحرك الكسلان ، وينبه الغفلان، ولكنها أصوات هامسة، والهمس ينيم اليقظان.

صوت هامس يهمس به العرب، احتجاجات حيية خجولة يقولونها، وكل منهم خافض الصوت، مطرق الرأس، غاض البصر، أدبًا وحياءً مع إسرائيل، ومع من يسندون إسرائيل! أين هذا يا عرب يا دعاة السلام؟ السلام الذى عارضناه من أول الأمر؛ لأنه ليس سلامًا، بل هو استسلام لما تريده إسرائيل فى المنطقة.

يا عرب! يا أبناء عدنان وأبناء قحطان! يا ورثة الأبطال الفاتحين! يا ورثة خالد وأبى عبيدة وعمرو! يا أبناء التاريخ المجيد! يا أحفاد الفاتحين! أين أنتم؟ أين احتجاجاتكم على ما يجرى؟

قال أمين الجامعة العربية: إن العرب سيكيلون لإسرائيل الصاع صاعين! أين هذا؟! يا ليتهم يكيلون الصاع بصاع .. بنصف صاع .. بربع قدح .. بحفنة! إنهم لن يردوا على الصاع بشئ.

قمة شرم الشيخ لمكافحة الإرهاب:

أين الذين تنادوا يوم حدث ما حدث فى (تل أبيب) و(القدس) و(عسقلان)؟ أين الذين نادوا بقمة عالمية دولية اجتمعت فى (شرم الشيخ) لمكافحة (الإرهاب)؟ أى لمقاومة (الجهاد)!.

الإرهاب الذى زعموه هو (الجهاد)! الذين يجاهدون من أجل أوطانهم، ويبذلون أرواحهم وهم أسخياء بها، ويضعون رؤوسهم على أكفهم، من أولئك الشباب الذين لم يبالوا ما يصيبهم فى سبيل الله:

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا على أى جنب كان فى الله مصرعى

الذين عقدوا قمة (شرم الشيخ) لمكافحة الإرهاب: قمة (صانعى السلام) كما سموها! أين هذا السلام يا قوم؟ أين هذا السلام وهناك مائة مدينة وقرية

أجبر أهلها على النزوح منها فى لبنان؟! أفرغت المدن والقرى من سكانها، ضُربوا بالقنابل والصواريخ، حتى فرّوا من أوطانهم وديارهم هائمين على وجوههم، يبحثون عن مأوى فلا يجدون.

الشاعر العربى قديمًا يقول:

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذا يا لهَمْدان ظالم؟
متى تحمل القلب الذكىّ وصارمًا وأنفًا حميًّا تجتنبك المراغم!

ولكن أين القلوب الذكية؟ وأين الأنوف الحمية؟ وأين الصوارم العربية، حتى نفعل كما قال الشاعر؟! إن مجرد الاحتجاج القوى الصارخ لا نجده.

قالوا فى اجتماع وزراء الخارجية: ندعو إلى عقد قمة عربية! أين القمة العربية؟ متى تجتمع القمة العربية هذه؟ وإذا اجتمعت ماذا تصنع؟ وهى مختلفة فيما بينها، ممزقة كل ممزق، هذا يشرق وهذا يغرب.

أين الأمة؟ أين الأمة؟ لا يوجد فى هذه الأمة إلا أولئك الأبطال المستبسلون الذين يضحون بأنفسهم فى سبيل الله.

ومع هذا يريد المسؤولون فينا أن يدينوا هؤلاء .. أن يجرِّموهم .. أن يصفوهم بأنهم إرهابيون! وهم الذين يرهبون عدو الله وعدوهم كما قال القرآن: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

اين أنتم يا عرب؟!

أين أمتنا العربية؟ أين أكثر من مائتى مليون من العرب وألف مليون من المسلمين؟ ولكن ماذا يصنع المسلمون إذا كان العرب أنفسهم - أهل الأرض والدار - لا يقدمون لأنفسهم ما ينبغى؟! إذا كان الفلسطينيون أنفسهم أصبح يعادى بعضهم بعضا، ويسجن بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضًا ولحساب من؟ لحساب إسرائيل، هذا ما كنا نخشاه: أن تسفك اليد العربية دم عربى آخر،

وأن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، وهو ما حذر منه رسول الله ﷺ (١).

أين أنصار السلام الأعرج؟

أين هؤلاء الذين ناصروا السلام الأعرج الكسيح، الذى لا نجد له فى الحقيقة أى أثر إلا حصار الفلسطينيين؟ الفلسطينيون فى غزة وأريحا والضفة الغربية يعيشون فى سجن كبير، لا يكادون يجدون القوت، لأنهم لا يجدون الدقيق الذى منه يعجنون ويخبزون، ولا يجدون الدواء، يموت الناس ولا يجدون الدواء، لا يجدون اللقاح لشلل الأطفال. لا يجدون من يشترى منهم ثمار زروعهم وكرومهم، فقد كانوا يصدرون منتجاتهم إلى إسرائيل وإلى أوربا عن طريق إسرائيل، وقد أغلقت إسرائيل عليهم الأبواب وأغلقت المعابر. أصبح الناس يتركون ثمارهم على الأشجار لأن أجرة جنيها أغلى من سعر بيعها.

أين هؤلاء الذين ناصروا السلام؟ أين هؤلاء الذين ذرفوا الدموع على (إسحاق رابين) والذين ذهبوا لجنازته مشيعين، ولأهله وقومه مُعَزّين؟! أين هؤلاء الذين استقبلوا (بيريز) فخورين، والذين قدموا إليه الهدايا مزهوين؟! أين هؤلاء الذين زعموا أن هناك سلاماً حقيقياً؟ وما رأينا لهذا السلام عيناً ولا أثرا، ولا رأينا له حقيقة واقعة فى قلب ديارنا.

رأينا إسرائيل مدلة بقوتها، إنها وحدها تملك الترسانة النووية، تملك نحو ثلاثمائة قنبلة نووية. إسرائيل وحدها قادرة على أن تكون أقوى من المنطقة العربية كلها، وهكذا تدللها أمريكا، وتعطيها المليارات بعد المليارات. وحينما زارهم (كلينتون) بعد مؤتمر (شرم الشيخ) تبرع لهم بنفحة قليلة: مائة مليون دولار! نفحة صغيرة بجوار المليارات التى تأخذها كل عام!.

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه، ورواه أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنهما، ورواه البخارى والنسائى عن أبى بكرة رضى الله عنه، ورواه البخارى والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال المناوى: والمراد أن ذلك كفر لمستحله، أو كفر للنعمة، أو يقرب من الكفر، أو يشبه فعل الكفار ... أو أراد به: الزجر والتهويل. (فيض القدير للمناوى: [٦/ ٣٩٤] برقم: [٩٧٦٧]).

لم يعد لنا معتصم يغيث من يستغيث :

أين دعاة السلام وأنصار السلام إزاء ما يجرى الآن فى عالمنا؟ أين أمة العرب؟ أين هذه الأمة؟ إننا لا نستطيع إلا أن نقول كما قال الشاعر (عمر أبو ريشة) :

أمـــــتى هل لك بين الأمم ... منبـــر للســـيف أو للقلم؟
أمتى كم من صنم قدسته ... لم يكن يحمل طهر الصنم؟!
رب وامعتصماه انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليُتّم
لامست أسماعهم لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم

المعتصم الخليفة العباسى حينما استغاثت به المرأة هناك فى أرض الروم وقالت : وامعتصماه، وبلغه ذلك قال : لبيك لبيك أختاه، وجهز الجيوش، وكانت موقعة (عمورية) الشهيرة .

فهل هناك معتصم الآن يُنجد أصحاب الصرخات وصاحبات الصرخات، من الأمهات الثكالى، من الأطفال اليتامى، من الزوجات الأرامل، من هؤلاء المشردين فى الأرض؟ لا يوجد معتصم يغيث من يستغيث، أو من تستغيث .

لامست أسماعهم لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم

أين هؤلاء؟ أين العرب وأمة العرب؟

من الرابح من وراء هذه السياسات ؟ :

الشعوب العربية بصفة عامة ضد هذا الذى يجرى . لماذا تكره الشعوب على سياسات لا ترضى عنها؟ من الكاسب من وراء هذه السياسات؟ الواقع أن الكاسب والرابح الوحيد من وراء هذه السياسات هو (إسرائيل)، ونحن الخاسرون على كل صعيد .

ربما كانت هناك مكاسب لبعض المنتفعين من الناس، الذين يريدون أن يُثروا من الحرام، وأن يتاجروا مع إسرائيل، ويستعجلوا رفع المقاطعة . ونحن الشعوب

العربية المسلمة يجب أن نرفض هذا، يجب أن نرفض التطبيع، يجب أن نبقى المقاطعة، يجب أن نقاطع إسرائيل، وبضائع إسرائيل، وطائرات إسرائيل، والذهاب إلى إسرائيل [١].

لا تطبيع مع الصهاينة:

يجب على كل عربى أبى، عنده أنف حمى، وقلب فتى، وشعور قوى، يجب عليه أن يرفض هذا الاستسلام. ويرفض هذا التطبيع.

يريدون أن تكون علاقتنا مع إسرائيل سمناً على عسل، تذهب طائراتنا إلى إسرائيل، وتأتى طائرات إسرائيل إلينا، نذهب إليهم سائحين، ويأتون إلينا سائحين وسائحات. ماذا وراء هذا إلا الفساد كل الفساد؟! إنهم يريدون أن ينشروا الإباحية .. أن ينشروا الإيدز .. أن ينشروا المخدرات .. أن ينشروا العُملات المزيفة، وهكذا أرادوا أن يصنعوا فى مصر، وحاولوا، وبين الحين والحين تضبط هذه الأشياء، ويُعرف أن اليهود وراء ذلك كله.

شحنة الغضب يجب أن تبقى:

يا أيها الإخوة: لا بد أن نقاوم. لا ينبغى أن يكون همنا أن نقول كلمات وتنتهى. الإخوة الذين قالوا لى: نريد أن نفرغ شُحنة الغضب فى صدورنا على ما يجرى، قلت لهم: لا، لا نريد أن نفرغ هذه الشحنة ونستريح، نريد أن تظل شحنة الغضب تعتمل فى صدورنا، تغلى فى قلوبنا، نريد أن يظل هذا القِدْر يغلى ويغلى وهو مسدود مكتوم لا نسمح له بأن يتنفس. وإذا ظلت النار تتقد والقدر يغلى، فلا بد أن يتفجّر هذا القدر يوما أو يتكسر.

لا بد أن يستمر هذا الأمر، وقديماً قلت فى إحدى القصائد [٢]:

---

(١) للشيخ القرضاوى فتويان فى مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية وتحريم السفر إلى إسرائيل، ذكر فيهما من الأدلة الشرعية، ومن فقه الواقع على حرمة ذلك، ومن أراد الاستزاده فليرجع إليها فى كتابه (فتاوى معاصرة) المجلد الثالث.

(٢) من قصيدة ألقاها الشيخ القرضاوى فى افتتاح مؤتمر عقده مع عدد من زملائه سنة ١٩٥٣م فى ساحة كلية الشريعة بالأزهر، للمناداة بمطالب الأزهريين وتطلعاتهم الدينية والعلمية =

QRTIKAN.COM

صبرنا إلى أن مل من صبرنا الصبر ... وقلنا: غداً أو بعده ينجلى الأمر!
فكان غدٌ عاماً ولو مُدّ حبله ... فقد ينطوى فى جوف هذا الغد الدهر!
وقلنا: عسى أن يدرك الحق أهلُهُ ... فصاحت (عسى) من (لا) و(لا) طعمها مُرُّ!
وماذا علينا بعد أن فار مِرْجَلٌ ... من الغيظ والآلام يغلى به الصدر؟!
سددنا بطول الصبر منّا صمامه ... فزادت عليه النار فانفجر القِدْر!

لا بدّ أن تزيد النار وينفجر القِدْر، لا يمكن أن تظل هذه الأمة على ما هى عليه، لا بد أن تنفجر القدر يوما وأن يثور البركان الهادئ، هذا الذى نراه من الصمت، إنه صمت وراءه شيئ، هذه الأمة لا يمكن أن تسكت على الظلم طويلاً، إن لديها مخزونًا، لا بد أن يظهر هذا المخزون، فيها مكنونات. لا بد أن تفجر هذه المكنونات والطاقات، ولا يفجرها إلا الإيمان .. إلا الإسلام، وهذا ما يخافه اليهود، وهذا ما يخافه الغرب.

الإسلام هو المقصود بالحرب:

ولذلك الآن يحاربون (الإسلام) باسم محاربة الإرهاب، وباسم محاربة التطرف، وباسم محاربة الأصولية، وكل هذه أغشية وأغطية يُراد بها ذر الرماد فى العيون حتى لا ترى، إن المقصود هو (الإسلام).

ما معنى الأصولية؟ قال (إسحاق رابين) فى القمة التى انعقدت فى الدار البيضاء فى المغرب: إن أعداءنا الكونيين ثلاثة: الجوع، والمخدرات، والأصولية!.

وأنا أقول لكم: إنه لا يقصد من هذه الثلاثة إلا (الأصولية)، وإنما ذكر المخدرات والجوع تمويهًا. الأصولية هى عدوه اللدود .. عدوه الأول.

الذى يمسك هذه المنطقة على جذورها، وعلى أصالتها، ويمنعها أن تذوب أو تنهار، إنما هو (الإسلام)، الذى يُعبَّر عنه بـ (الأصولية).

= والأدبية والاجتماعية، ولم يعد يحفظ منها إلا أبياتا قليلة، فقد ضاعت فيما ضاع من كتابات ودواوين فى أتون المحن المتتابعة التى ابتلى بها دعاة الإسلام فى مصر.

وهؤلاء يريدون أن يمحوا الإسلام، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـئُـوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْـوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَـرِهَ الْكَافِـرُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٢].

هذا الإباء الإلهى هو الذى يطمئننا على مستقبل هذا الدين، وعلى مستقبل هذه الأمة .. على مصير هذه الأمة.

هذه الأمة لن تموت، هذه الأمة لن تسقط، يمكن أن يذبل عودها، يمكن أن يصيبها المرض والسقام، ولكنها لا تموت، هكذا رأيناها طوال التاريخ. إذا هيأ الله للأمة رجالاً ينفخون فيها من الروح .. يحركون عزائمها .. يوقظون قلوبها .. يوقدون شعلها، ستصنع هذه الأمة الأعاجيب.

فلسفة تجفيف المنابع:

إن الغرب يرى أن الإسلام هو العدو الأول؛ وهذا ما تتبناه إسرائيل وما توحى به إلى الغربيين، وهم الآن يعملون على سياسة تجفيف المنابع، كل المنابع التى تغذى الإسلام وتقويه، يجب أن تُجفف، سواء كانت منابع ثقافية أو فكرية كما تفعل بعض البلاد، أرادت أن تحارب الإسلام فى المدرسة وفى مناهج التعليم، كل ما يدعو إلى الجهاد، كل ما يدعو إلى الغيرة على الإسلام .. إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. إلى الولاء لله ولرسوله وعدم اتخاذ أعدائه أولياء، كل ما يوحى بتقدير البطولة، كل معارك الفتح الإسلامى، كل آيات الجهاد فى سبيل الله، فى القرآن وأحاديث الجهاد فى السنة، وغزوات الرسول فى السيرة: هذه ينبغى أن تحذف من مناهج التربية والتعليم.

وكذلك فى الإعلام، ينبغى أن يحذف هذا بالتدريج فى السياسة الإعلامية.

وهم أيضًا من ناحية أخرى يريدون أن يجففوا المنابع المالية، الآن هناك حرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية. قالوا: إنها تمول الإرهاب والإرهابيين، إنها تمول الأصولية والأصوليين.

وقريبًا كان أحد أمراء الخليج فى أمريكا، فقاله له الرئيس (كلينتون): إن

الجمعيات الخيرية فى بلادكم تمول الإرهاب والإرهابيين، والأصولية والأصوليين. قال له: " هذه الجمعيات جمعيات خيرية ونحن نعرف أصحابها، ونعرف القائمين عليها، وهم أناس طيبون ...إلخ، قال: المعلومات التى عندنا تقول: إنهم يمولون الأصولية والأصوليين.

طبعًا هذه الجمعيات تعمل على إحياء الدين الإسلامى، تنشئ مدارس يتعلم فيها أبناء المسلمين، تنشئ مساجد يصلى فيها المسلمون، تنشئ دوراً للأيتام يُرعى فيها أبناء الإسلام، تطبع مصاحف يقرأها المسلمون، تطبع كتبًا إسلامية تثقف المسلمين، تبعث دعاة لتعليم الناس الإسلام. كل هذا ينشئ الأصولية التى يخافونها.

إعلان الحرب على الإسلاميين:

ولذلك نرى قادة الحرب الصليبية الحديثة اليوم، مصممين على أن يحاربوا الإسلام، يحاربوه بكل سلاح، ويحاربوه فى كل منطقة، ويحاربوه بواسطة حكام المسلمين أنفسهم. أوقعوا ما بين الحكام والشعوب، أرهبوا الحكام وخوفوهم وقالوا لهم: إن هؤلاء الأصوليين يريدون أن يقتلعوكم من جذوركم، حافظوا على كراسيكم، حافظوا على مكاسبكم بأن تتغدوا بهؤلاء قبل أن يتعشَّوْا بكم!

وبدأت الحرب على الإسلاميين فى كل مكان، المتطرفون منهم والمعتدلون، حتى المعتدلون يحاربون، الذين ينكرون العنف، وينكرون الإرهاب، ولم يفعلوا أى حادثة من هذه الحوادث، حتى هؤلاء يحاربون، ويحاكمون محاكمات غير عادلة، ويساقون إلى السجون، ويساقون إلى المعتقلات.

إن النغمة السائدة الآن: حاربوا الإسلام المعتدل! إنه الإسلام الأشد خطرا إنّ التطرف قصير العمر، التطرف لا يمكن أن يستمر طويلا، إنما الذى يمكن أن يستمر، وأن يبقى، وأن يدوم، وأن يؤثر، إنما هو (الإسلام المعتدل).

ثم يقولون: إن الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلاً، إنه يبدأ معتدلاً ثم

يتطرف، فنحن نأخذ الأمر من أوله ونسدّ الطريق عليهم! يعنى اعتدلنا أو تطرفنا لا بد من حربنا. هذا ما يجرى عليه الحال أيها الإخوة.

ما الذى نستطيع أن نفعله؟ لا يمكن أن نستسلم، سنظل نقاوم، نرفض الذل والهوان، لا نعمل كما يحدث الآن، ما شعرت بالهوان الممزوج بالأسى والأسى الممزوج بالهوان، كما شعرت به هذه الأيام، وأنا أقرأ الصحف، وأشاهد نشرات الأخبار، وأرى ما يجرى أمام عينى.

أين أمتى؟ أين أمتى؟ لا أجدها.

لا بد أن نقاوم، لا نستسلم أبدا مهما كانت النتيجة. إنها إحدى الحسنيين: إما أن نعيش أعزاء سعداء وإما أن نموت شهداء ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٢].

لا يجوز أن نقبل هذا الهوان ونردد مع الشاعر أبى الطيب الذى يقول:

ذلّ من يغبط الذليل بعيش ... رُب عيش أخف منه الحِمامُ[١]

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

نحن قد هُنّا على أنفسنا، فهنا على الناس. وإذا أردنا أن نكون كرماء على الناس، فينبغى أن نكرم أنفسنا أولاً.

أمتنا لن تموت:

يجب أن نشعر بأننا خير أمة أخرجت للناس، أننا الشهداء على الناس، أننا الأمة الوارثة للنبوات ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أننا أمة القرآن، أمة الإسلام، أمة محمد عليه الصلاة والسلام، أمة الخلود، الأمة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(٢) بعض أنواع الحياة أفضل منها الممات (القرضاوى).

يجب أن تتمكن هذه المشاعر فى نفوسنا، وألا نستسلم أبدا، هذا الشعور نفسه نعمة عظيمة، وغنيمة عظيمة، ومكسب كبير. هم يريدون أن يقتلوا فينا هذا الشعور، .. أن يحس كل منا باليأس والإحباط.. أن يقول: ليس هناك فائدة .. ليس هناك إلا إسرائيل وترسانتها النووية، وميزانيتها العسكرية التى بلغت فى سنة ١٩٩٤م (سبع مليارات وربع).

هم يريدون أن نصل إلى هذا الحد من اليأس والإحباط والشعور بالقنوط، ونحن نقول: لا تيأسوا من روح الله فـ ﴿ ... **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف: ٨٧]، لا تقنطوا من رحمة الله فإنه لا ﴿ .... **يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر: ٥٦].

إن الدنيا دول، والدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، والله تعالى يقول: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

إن قلوبنا مع الشعب اللبنانى، وقلوبنا مع الشعب الفلسطينى، قلوبنا مع أبطال الجهاد، قلوبنا مع أبطال (حماس)، وأبطال (الجهاد الإسلامى)، وأبطال المقاومة اللبنانية، وأبطال (حزب الله)، ومع كل من يقاوم الطاغوت، وكل من يقف فى وجه العدوان. قلوبنا معهم، وألسنتنا تهتف وتدعو لهم، ولا نملك فى هذه الآونة إلا هذه المشاعر، وهى رأس مالنا، فلا ينبغى - أيها الإخوة المسلمون - أن نفرط فى هذه المشاعر.

ينبغى أن نشعر بأننا الأمة العزيزة التى كتب الله لها العزة ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: ٨].

والله لو وقفنا وقفة رجل واحد وصممنا وعزمنا، ما استطاعت إسرائيل أن تفعل شيئا. إنما دخلت علينا إسرائيل حينما أدخلت الوهن على نفوسنا، والأمر كما قال النبى ﷺ: «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى

قلوبكم الوهن. قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1]، هذه هى الآفة: (حب الدنيا وكراهية الموت).

أما إذا طلق الناس الدنيا وأقبلوا على الموت، لا يبالون أوقع الموت عليهم أم وقعوا عليه، ووضعوا أرواحهم فى أيديهم باذلين لها فى سبيل الله، فوالله لن تستطيع إسرائيل ولا من وراء إسرائيل أن يصنعوا شيئا.

إن بضعة عمليات - ثلاث عمليات - حدثت فى أيام قريبة، هزت إسرائيل، زلزلت قواعد إسرائيل. لأن هذه القنابل البشرية الموقوتة لا تستطيع إسرائيل أن تصنع أمامها شيئا. ماذا تستطيع أن تفعل أمام إنسان باع نفسه لله، لا يبالى بالموت؟ وهو لا يكلّف شيئًا، بعض مواد متفجرة ممكن أن توجد فى أى مكان.

لن نباع بثمن بخس:

جففوا المنابع المالية كما زعمتم، لن يغنى هذا شيئا. إن الذى نحتاج إليه هو الإرادة .. هو التصميم .. أن نبقى عربًا مسلمين، لا يجوز أن نُباع، لقد باعونا فى سوق النخاسة، باعونا كما بيع يوسف بن يعقوب عليهما السلام، بثمن بخس، دراهم معدودة. ولكن يوسف - عليه السلام - قدر الله له أن يباع إلى رجلٍ أكرِمه، إلى عزيز مصر الذى قال لامرأته: ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾ [يوسف: ٢١] ولكنهم باعونا لمن لا يرعى لنا كرامة ولا حرمة، ولا يرقب فينا إلاً ولا ذمة، باعونا بثمن بخس لليهود!

ما هو هذا الثمن يا قوم؟ ما الثمن الذى بعتمونا به؟

بعتم هذه الديار، وبعتم هذه الشعوب، وبعتم هذه الأمة الغالية، بعتموها بثمن بخس ولم تقبضوه! ثمن لم يقبض! كل ما كُسب من هذا الثمن هو بقاء أهل الكراسى على كراسيهم!

ماذا أفادت الشعوب العربية من وراء هذا الأمر؟ لم تستفد شيئا. إسرائيل هى المتحكمة، إسرائيل هى المالكة، إسرائيل هى المستفيدة، إسرائيل هى الرابحة!

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد من حديث ثوبان، وأوله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: يا رسول الله ومن قلة يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل..».

ولكنا مؤمنون بأن الغد لنا، وأن المستقبل لنا، وأن النصر آت لا ريب فيه، وأن الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧]، ويقول: ﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية:

ورد أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة (١).

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا. واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أبى هريرة المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. وأما تعيين الساعة فقد اختلف العلماء فيها اختلافا كثيرا، وأفاض ابن القيم فى ذكر أقوالهم ورجح منها قولين:

أحدهما: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة.

والثانى: أنها بعد العصر، قال: وهذا أرجح القولين.

انظر (زاد المعاد: ١/ ٣٨٨ - ٣٩٧) بتحقيق الأرناؤوط، و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١/ ٢٤١ - ٢٤٣).